ماذا بعد ؟

الدكتور كلوفيس مقصود

نسجل هذه الخواطر فور صدور قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار بين القوى المتحاربة في الجبهتين المصرية والسورية . من هنا اصرارنا على تسميتها خواطر بدلا من أن نطمح الى ما هو اكثر مثل التحليل أو الرأي رغم ان الخواطر تشمل على البعض من التحليل والشيء من الرأي .

نضع هذه الحدود على ما سوف نسجله لان سرعة تعاقب الاحداث منذ السادس من تشرين الاول (اوكتوبر) ومن ثم الموافقة الدولية — خاصة بين العملاقين الكبيرين — على اعطاء صفة الاستعجال على وقف اطلاق النار تحول دون بلورة توجيه نهائي او حتى المبادرة برسم خطوط عريضة لما يجب ان نفعل . ولعل هذا التردد في اعلان الرأي هو بحد ذاته سمة من سمات المرحلة النضالية الراهنة وبالتالي فان ما نحن مقبلون عليه هو بدء مخاض عسير ومعاناة حقيقية تجيء دوما في اعقاب انجازات وآمال مبتورة .

هذا بدوره يعني ان القضية الفلسطينية مقبلة على مواجهات معقدة بعد ان تضاءلت مراحل المجابهات الصعبة . بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ بدت اسرائيل وكأنها قادرة على كل شيء وتبين للكثيرين من العرب ان السلوك المطلوب اتباعه يجب ان يكون محصورا في التقليل من مدى الخسائر وان نقنع بالممكن الحصول عليه . كان هذا المطلب السياسي انعكاسا لواقع ما بعد الهزيمة . فالهزائم العسكرية تولد عند غير الملتزمين نوعا من الواقعية الانهزامية ، لكن وسط هذا التدهور في الواقع القوي برزت الثورة الفلسطينية لا مجرد صمام أمان للحيلولة دون انهيار كامل للواقع القوي واستسلامه للذهنية الانهزامية فحسب بل كخميرة التمرد في الكيان العربي العام ووسيلة انضاج لارادة القتال في الساحة العربية بكاملها .

ظلت الثورة الفلسطينية تقوم بهذا الدور التصحيحي رغم كل محاولات الاحتواء والتطويق والتدمير التي تعرض لها افرادها واجهزتها ومؤسساتها ومخططاتها . هذا بالاضافة الى الحرب النفسية المتعددة الاوجه التي ووجهت بها من حيث جعلها تعيش وسط مناخ وكأن طموحاتها الفكرية والسياسية مستحيلة التحقيق وكأن ارادتها القتالية شواذ على القاعدة . الا ان الثورة ثابرت على ابقاء جذوة المجابهة المسلحة كالطريق الافعل والامضى لجعل اسرائيل ترضخ للمقررات الدولية وللارادة القومية . الا ان الالتباس بقي قائما فيما يتعلق بدرجة التطابق بين المقررات الدولية والارادة القومية . ولقد كانت التباينات والفروقات تبدو بين الذين جعلوا من المقررات الدولية نهاية المطاف للارادة القومية وبين الذين أرادوا وأصروا على كون الارادة القومية تكمن في التحرير الشامل . الا ان دعاة التطابق القومي — الدولي لم يسلموا بحتمية او نهائية هذا التطابق بل كونه مرحليا ومعبرا عن حقيقة ميزان القوى في المنطقة وبالتالي غير قابل للمزايدة عليه . من جهة اخرى اصر دعاة التحرير ان التطابق القومي — الدولي اذا ترجم الى وقائع جديدة في المنطقة فانه سوف يؤدي الى